

فجهاد الصديقين في هذا أن يلقوا الفرح بشيء سواه، بعد أن امتلأت صدورهم غموماً، فلما أوصلهم قربهم، كلما زاد قربهم اشتد شوّقهم، فازدادوا حتى عطشت قلوبهم، كان رسول الله : دائم الأحزان والفكـر (١). وروي عنه أنه قال : ما عبد الله عز وجل بمثل طول الحزن (٢) . فإنه وصل بقلبه إلى رب ماجد كريم، فرأى عظمته وجلاله، فلم يشف الوصول إليه بتلك القرية. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله : «المؤمن من أمن الناس بوائقه (٣)، من لم يكن له ورع يرده عن معصية الله عز وجل إذ خلا بها، لم يعبأ الله بسائل عمله شيئاً. فذلك مخافة الله عز وجل في السر والعاليـة والاقتصاد في الفقر والغنى والصدق عند الرضا والسلطـة . إلا أن المؤمن حاكم على نفسه يرضي لنـاس ما يرضي لنـفسه؛ وأحـب الخـلـق إلى الله عز وجل أحـسنـهم خـلـقاـه (٤)» ، وينال بحسن خلقـه درجة الصـائم الـقـائم (٥) وهو راقد على فراشه. فهو يشهد مشاهـد الـقيـامـة بـقـلـبـه، وروحـه عـارـيـة في بـدـنـه لـيـسـ بالـمـؤـمـنـ حـقـاـ منـ لـمـ يـكـنـ حـمـلـانـهـ عـلـىـ نـفـسـهـ، رـحـيمـ فـيـ طـاعـةـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، بـخـيلـ عـلـىـ دـيـنـهـ حـيـ مـطـوـعـ، وـأـوـلـ مـاـ فـاتـ اـبـنـ آـدـمـ بـيـنـهـ الـحـيـاءـ، خـاـشـعـ الـقـلـبـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ مـتـوـاضـعـ قـدـ بـرـئـهـ مـنـ الـكـبـرـ، يـنـظـرـ إـلـىـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ يـعـلـمـ أـنـهـمـاـ فـيـ هـدـمـ عـمـرـهـ، لـاـ يـرـكـنـ إـلـىـ الـدـنـيـاـ رـكـونـ الـجـاهـلـ . قال رسول الله : لا جـرمـ أـنـهـ إـذـ خـلـفـ الـدـنـيـاـ خـلـفـ الـهـمـوـمـ وـالـأـحـزـانـ، وـلـاـ حـزـنـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـ بـعـدـ الـمـوـتـ، بل فـرـحـهـ وـسـرـورـهـ مـقـيمـ بـعـدـ الـمـوـتـ (٦) . حدـثـناـ عـبـدـ الـجـبارـ بـنـ الـعـلـاءـ بـنـ يـوـسـفـ بـنـ عـطـيـةـ قـالـ: سـمـعـتـ ثـابـتـ الـبـنـانـيـ رـحـمـهـ اللـهـ تـعـالـيـ يـذـكـرـ عـنـ أـنـسـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ: بـيـنـمـاـ رـسـوـلـ اللـهـ يـمـشـيـ إـذـ اـسـتـقـبـلـهـ رـجـلـ شـابـ مـنـ الـأـنـصـارـ، فـقـالـ لـهـ النـبـيـ : كـيـفـ أـصـبـحـتـ يـاـ حـارـثـةـ؟ قـالـ: أـصـبـحـتـ مـؤـمـنـاـ بـالـلـهـ عـزـ وـجـلـ حـقـاـ . قـالـ: اـنـظـرـ مـاـ تـقـولـ، إـنـ لـكـ قـوـلـ حـقـيقـتـهـ قـالـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ، وـكـأـنـيـ أـنـظـرـ إـلـىـ أـهـلـ الـجـنـةـ كـيـفـ يـتـزاـرـوـنـ فـيـهـاـ، وـإـلـىـ أـهـلـ الـنـارـ كـيـفـ يـتـعـاـدـوـنـ فـيـهـاـ . قـالـ: «أـبـصـرـتـ فـالـزـمـ عـبـدـ نـورـ اللـهـ الإـيمـانـ فـيـ قـلـبـهـ . فـقـالـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ اـدـعـ اللـهـ لـيـ بـالـشـهـادـةـ؛ فـكـانـ أـوـلـ فـارـسـ اـسـتـشـهـدـ وـأـوـلـ فـارـسـ رـكـبـ، فـجـاءـتـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ اللـهـ فـقـالـتـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ، أـخـبـرـنـيـ عـنـ اـبـنـيـ إـنـ يـكـيـنـ فـيـ الـجـنـةـ لـمـ أـبـكـ عـلـيـهـ، وـإـنـ يـكـيـنـ ذـلـكـ بـكـيـتـ عـلـيـهـ مـاـ عـشـتـ فـيـ الـدـنـيـاـ. إـنـهـاـ لـيـسـ جـنـةـ وـلـكـنـهاـ جـنـانـ وـالـحـارـثـ فـيـ الـفـرـدـوـسـ الـأـعـلـىـ فـرـجـعـتـ وـهـيـ تـضـحـكـ وـتـقـولـ: بـخـ بـخـ لـكـ يـاـ حـارـثـةـ (٧) . قـالـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ رـحـمـهـ اللـهـ تـعـالـيـ: إـنـاـ مـنـ الـعـبـدـ اللـهـ هـذـهـ الـمـنـزـلـةـ بـتـلـكـ الـأـنـوـارـ. أـلـاـ تـرـىـ إـلـىـ قـوـلـ رـسـوـلـ اللـهـ: هـذـاـ عـبـدـ نـورـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ الإـيمـانـ فـيـ حـدـثـناـ أـبـوـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ الـمـكـيـ، عـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ أـبـيـ دـاـوـدـ يـرـفـعـهـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ، إـلـاـ أـنـهـ قـالـ: لـكـأـنـيـ أـنـظـرـ إـلـىـ رـبـيـ عـزـ وـجـلـ فـوـقـ عـرـشـهـ يـقـضـيـ بـيـنـ خـلـقـهـ (٨) . إـلـحـاطـةـ غـيـومـ الشـهـوـاتـ، وـزـيـنـ الـذـنـوبـ بـالـقـلـبـ فـيـ الـصـدـرـ، حـتـىـ إـذـ تـابـ الـعـبـدـ صـقـلـ قـلـبـهـ بـالـتـوـيـةـ فـإـذـاـ جـاهـدـهـ وـرـاضـهـ، حـتـىـ يـنـقـطـ دـخـانـ شـهـوـاتـهـ، جـاءـتـ الـأـنـوـارـ مـدـدـاـ لـلـإـيمـانـ الـذـيـ فـيـ الـقـلـبـ، فـذـكـ عـبـدـ نـورـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ الإـيمـانـ فـيـ قـلـبـهـ، فـلـمـ نـورـهـ اـسـتـنـارـ فـيـ صـدـرـهـ، فـصـدـرـتـ الـأـمـوـرـ إـلـىـ الـجـوـارـ مـنـ ذـلـكـ النـورـ، فـعـمـلـتـ الـجـوـارـ عـلـىـ الـحـدـودـ، وـرـوـيـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ: إـنـ الـعـبـدـ إـذـ أـذـنـبـ ذـنـبـاـ نـكـتـ فـيـ قـلـبـهـ نـكـتـةـ سـوـدـاءـ، فـلـاـ يـزـالـ يـنـكـتـ حـتـىـ يـسـوـءـ الـقـلـبـ كـلـهـ، فـإـذـاـ تـابـ وـنـزـعـ صـقـلـ قـلـبـهـ، فـإـنـمـاـ يـنـصـقـلـ بـالـأـنـوـارـ حـتـىـ يـتـجـلـىـ كـالـمـرـأـةـ الـمـجـلـيـةـ، فـإـذـاـ صـارـ كـالـمـرـأـةـ تـرـاءـتـ لـهـ الـدـنـيـاـ عـلـىـ هـيـئـتـهـ وـالـآخـرـةـ عـلـىـ هـيـئـتـهـ وـالـمـلـكـوتـ (٩) . فـإـذـاـ لـاحـظـ فـيـ الـمـلـكـوتـ عـظـمـةـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ جـالـلـهـ صـارـتـ الـأـنـوـارـ كـلـهـاـ نـورـاـ وـاحـدـاـ، بـمـنـزـلـةـ رـجـلـ نـظـرـ فـيـ الـمـرـأـةـ، وـأـبـصـرـ مـاـ بـيـنـ يـدـيهـ وـمـاـ خـلـفـهـ فـيـهـاـ . فـإـذـاـ قـابـلـ بـهـاـ عـيـنـ الـشـمـسـ، وـقـعـ الشـعـاعـ فـيـ الـبـيـتـ فـأـشـرـقـ الـبـيـتـ مـنـ تـقـابـلـ الـنـورـيـنـ: نـورـ عـيـنـ الـشـمـسـ وـنـورـ الـمـرـأـةـ، فـكـذـكـ الـقـلـبـ إـذـاـ جـلـ فـانـجـليـ . فـلـاحـظـ الـعـظـمـةـ وـالـجـلـالـ، تـجـلـتـ الـعـظـمـةـ بـيـنـ الـحـجـابـ لـذـكـ الـقـلـبـ الـمـجـلـيـ، وـأـدـنـاسـ الـهـوـيـ وـالـتـقـيـ الـنـورـانـ فـامـتـلـأـ الـقـلـبـ شـعـاعـاـ، حـدـثـناـ سـفـيـانـ بـنـ وـكـيـعـ وـقـيـيـةـ بـنـ سـعـيدـ قـالـ: حـدـثـناـ عـبـدـ الـوـهـابـ الـتـقـيـ، عـنـ النـعـمـانـ بـنـ بـشـيرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ: قـالـ إـنـ الـشـمـسـ وـالـقـمـرـ لـاـ يـنـكـسـفـانـ لـمـوـتـ أـحـدـ وـلـاـ لـحـيـاتـهـ (١٠)ـ وـلـكـنـهـ إـذـاـ تـجـلـ اللـهـ رـجـلـ لـشـيـءـ مـنـ خـلـقـهـ خـشـعـ لـهـ . وـكـذـكـ لـمـاـ تـجـلـ لـطـورـ سـيـنـاءـ صـارـتـ الـبـقـعـةـ الـتـيـ وـقـعـ الـتـجـلـيـ عـلـيـهـاـ كـالـهـيـاءـ الـمـبـثـوـثـ، وـمـاـ فـيـ جـوـارـهـ سـاخـتـ فـيـ الـأـرـضـ، فـهـيـ تـنـهـبـ فـيـ تـلـكـ الـبـحـارـ الـتـيـ مـنـ وـرـاءـ الـدـنـيـاـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـلـاـ تـسـتـقـرـ وـمـاـ جـوـارـهـ أـبـعـدـ مـنـهـ، حـتـىـ وـقـعـتـ أـرـبـعـةـ مـنـهـ فـيـ حـرـمـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ، وـأـرـبـعـةـ فـيـ حـرـمـ الرـسـوـلـ بـالـمـدـيـنـةـ . وـخـرـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ صـعـقاـ فـصـارـتـ الـأـرـضـ كـلـهـاـ ذـاتـ بـهـجـةـ وـزـيـنـةـ، حـتـىـ ظـهـرـ الـكـنـوزـ عـلـىـ ظـهـرـ الـأـرـضـ، وـانـفـتـحـتـ الـأـرـحـامـ فـحـمـلـتـ كـلـ عـقـيمـ، فـاعـلـمـ فـيـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ: أـنـ الـشـمـسـ إـنـمـاـ ذـهـبـ ضـوءـهـاـ خـشـعـةـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ، وـخـشـوـعـهـاـ خـرـوجـهـاـ فـيـ سـرـبـالـهـاـ الـذـيـ سـرـبـلـتـ بـهـ مـنـ نـورـ الـعـرـشـ، فـكـذـكـ الـنـفـسـ إـذـ أـحـسـتـ بـالـتـجـلـيـ خـشـعـتـ لـهـ عـزـ وـجـلـ، أـوـ خـرـجـتـ مـنـ جـمـيعـ شـهـوـاتـهـ إـلـىـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ بـمـاـ فـيـهـ مـنـ الـمـعـرـفـةـ وـالـعـقـلـ فـضـرـبـ، وـهـوـ قـوـلـ جـبـرـيلـ عـلـيـهـ الـسـلـامـ مـاـ إـلـحـانـ؟ قـالـ: أـنـ تـعـبـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ كـأـنـكـ تـرـاهـ (١١)ـ . فـإـذـاـ كـانـ مـحـجوـبـاـ فـإـنـهـ يـعـبـدـ اللـهـ وـلـاـ يـلـتـمـسـ الـحـسـنـ، بـمـنـزـلـةـ رـجـلـ دـعـاهـ الـمـلـكـ لـيـقطـعـ ثـوـبـاـ بـيـنـ يـدـيهـ وـبـخـيـطـهـ، فـلـاـ يـتـرـكـ هـذـاـ الصـانـعـ مـنـ خـفـةـ الـيـدـ، وـإـحـكـامـ الـخـيـاطـةـ وـزـيـنـتهاـ، وـيـرـيدـ أـنـ يـتـجـلـ بـذـلـكـ عـنـهـ فـيـكـتـسـبـ بـهـ جـاهـاـ عـنـهـ وـمـنـزـلـةـ . وـالـآخـرـ رـجـلـ دـعـاهـ الـمـلـكـ وـقـالـ: أـذـهـبـ بـهـذـاـ الثـوـبـ فـقـطـعـهـ، فـلـمـاـ غـابـ عـنـهـ رـفـعـ لـهـ بـالـهـ، فـيـقـولـ: قـدـ عـمـلـتـ وـأـخـذـ الـأـجـرـةـ، وـإـنـمـاـ جـرـأـهـ، عـلـىـ ذـلـكـ غـفـلـتـهـ عـنـ رـؤـيـةـ الـمـلـكـ،